

ومقابل الشعب الاسمى هناك المجتمع القبلي المتخلف الذي يخيب آمال اصدقائه فيه: « ان الاتحاد السوفياتي خابت آماله في بنية المجتمع العربي القبلي ، ووصل الى تناعة بأنه ستمر سنون كثيرة قبل ان يكون بإمكانه الارتباط بعناصر جادة في المجتمع العربي » (١٢). ان اطمئنان اسرائيل يجب ان يبلغ حده الاقصى ، فاذا كان حلفاء العرب لم يجدوا بينهم « عناصر جادة » يرتبطون بهم ، فالأحرى بالاسرائيليين ان لا يحسبوا أي حساب لمجتمع مؤلف من عناصر غير جادة .

**الفطرسية العسكرية :** اذا كان الشعب الاسرائيلي « شعبا أسمى » ، واذا كانت « الثغرة في المستوى العلمي » آخذة في الاتساع ، زيادة عن اتساعها ، واذا كانت هناك « هوة واسعة » بين حوافز الجندي العربي وحوافز الجندي الاسرائيلي ، فمن الطبيعي والحالة هذه ان يكون الجيش الاسرائيلي جيشا لا يقهر . فحتى من الناحية النظرية البحتة لا يجوز افتراض احتمال هزيمة الجيش الاسرائيلي . ان أقصى ما تستطيعه الدول العربية هو « ازعاج » اسرائيل ، على حد تعبير يتسحاق رابين ، رئيس الاركأن السابق : « ليس في استطاعة الدول العربية وحدها ان تشكل خطرا على كيان اسرائيل بالذات ، قد تزعج الدول العربية اسرائيل ، ولكنها لا تشكل ، في المستقبل المنظور ، خطرا عسكريا على كيان دولة اسرائيل . . . كما لا ارى انه يمكن القول ان الدول العربية تمثل خطرا حقيقيا على اسرائيل » (١٢). وحتى لو كانت الدول العربية كلها مجتمعاً ، وقررت ليس فقط شن حرب خاطفة ، ولكن حربا تدوم سنين طويلة ، فان اسرائيل ثائرة على رد هذا الهجوم . ان هذا الكلام يقوله رابين ليسمعه الأميركيون ، الذين ضعفت ثقتهم بالقوة العسكرية نتيجة تجربتهم في فيتنام ، فهو يقول في خطاب أمام اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشؤون العامة بتاريخ ٧/٥/٧٢ : « ان باستطاعة اسرائيل ان تدافع عن نفسها بنفسها ضد قوى العالم العربي مجتمعاً ، لاية فترة ممكنة — خمس او عشرين او خمسين سنة — ما دمنا لا نحرم من المعدات اللازمة » (١٤) . ان الامر في النهاية يتعلق بالمعدات اللازمة ويثمن هذه المعدات اللازمة ، وبضرورة اقتناع من سيدقق. ثمن هذه المعدات اللازمة بجدوى دفع هذا الثمن . ويستعين رابين بالتاريخ ليؤكد ان اسرائيل لا يمكن هزيمتها اليوم كما كان من غير الممكن هزيمتها في التاريخ البعيد على يد جيرانها ، « ما لم تتدخل قوة كبرى » ، أما الجانب الآخر الذي لا يكلف نفسه عناء الاشارة اليه ، فهو امكانية قيام الدولة اليهودية بدون دعم الدولة الكبرى : « اننا نعيش في اسرائيل مع ذكرى حقيقة تاريخية بسيطة : ان المناسبتين اللتين تم فيهما تدمير دولة يهودية مستقلة في ذلك الجزء من العالم حيث توجد — وأشير هنا الى الدولتين الاولى والثانية — هما اللتان تم فيهما التدمير على يد قوة كبرى في ذلك الوقت . لم ينجح أحد من جيراننا في الماضي — الفلسطينيون ، الموآبيون ، الميديانيون ، الآراميون ، في حشد القوة اللازمة لتدمير الدولة اليهودية » (١٥). لا داعي لتقديم تفسير لهذه الظاهرة الفريدة فخصائص الشعب اليهودي الفريدة هي التفسير . أمام القوى غير الكبرى لا تهزم اسرائيل بغض النظر عن التفوق العددي او التفوق في التسليح . وها هو زئيف شيف ، معلق صحيفة هآرتس العسكري يردد ما يقوله رابين : « لا توجد أية علامات استفهام بالنسبة لانتصار قواتنا . ومن الواضح انه كان من الافضل لسو أن سلاح الطيران الاسرائيلي مزود بطائرات فانتوم اخرى ، ولكن عدم وجود هذه الطائرات لسن يقاب الامور رأسا على عقب » (١٦). نستطيع بالطبع ان نقابل هذا القول لمعلق هآرتس العسكري قبل حرب تشرين بما كتبه معلق آخر من معلقى الصحيفة نفسها — هآرتس ، بعد حرب تشرين : « ان جيش الدفاع لم يحقق أبدا أية قوة ردع بالنسبة الى العرب ، وانما على العكس : كلما كانت ضرباته قوية قويت الرغبة في افئدة العرب لتنمية قوتهم ومنازلتنا من جديد » (١٧). ان موشيه دايان لم يكن يكتفي بالقول ان الجيش الاسرائيلي